القيم الدينية والاجتماعية في تصميم المدن الاسلامية (القاهرة انموذجاً)

م.م. وداد محمد عبدالله حمادي

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم التاريخ

wedadmhmd@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:

يركز هذا البحث على دراسة تأثير الفكر الإسلامي في تشكيل المدن الإسلامية، مع التركيز على مدينة القاهرة، التي تميزت بتطورها التاريخي والثقافي والمعماري. سنستعرض الأسس التي قامت عليها، والعوامل التي ساهمت في تطورها، بالإضافة إلى أبرز معالمها مثل المساجد والأسواق والأحياء السكنية. يهدف البحث إلى تسليط الضوء على كيفية تداخل العوامل الدينية والاجتماعية والبيئية لتشكيل هوية المدينة الإسلامية، ما يجعلها نموذجًا فريدًا في تاريخ التخطيط الحضري.

الكلمات المفتاحية: (القيم الدينية والاجتماعية، تصميم المدن الاسلامية).

Religious and Social Values in the Design of Islamic Cities (Cairo as a Model)

Widad Mohammed Abdullah Hammadi

Al-Mustansiriya University / College of Arts / Department of History

wedadmhmd@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:

This research focuses on studying the influence of Islamic thought in shaping Islamic cities, with a focus on the city of Cairo, which was distinguished by its historical, cultural and architectural development. We will review the foundations on which it was built, the factors that contributed to its development, in addition to its most prominent landmarks such as mosques, markets and residential neighborhoods. The research aims to shed light on how religious, social and environmental factors intersect to shape the identity of the Islamic city, making it a unique model in the history of urban planning.

Keywords: (Religious and social values, Islamic city design).

مقدمة:

يمثل التخطيط العمراني أحد أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، حيث تميز بتأثير الفكر الإسلامي على بنية المدن وتنظيمها منذ ظهور الإسلام. استلهمت هذه المدن مبادئها من القيم الدينية والاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، مما ساهم في تحقيق التوازن بين متطلبات الحياة الروحية والمادية. ويعد تخطيط مدينة القاهرة من أبرز الأمثلة على تطبيقات هذا الفكر، حيث تجمع بين عناصر الابتكار المعماري والقيم الدينية والاجتماعية والاقتصادية، لتصبح نموذجًا فريدًا يعكس عبقرية التخطيط الإسلامي.

تأثير الفكر الإسلامي على تخطيط المدن:

شهد تخطيط المدن الإسلامية تطورًا كبيرًا منذ بداية الإسلام، حيث تأثرت البنية العمرانية والقيم التخطيطية بالمبادئ الدينية والاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية. يعكس هذا الفكر رؤية شاملة تحقق التوازن بين الاحتياجات الروحية، الاجتماعية، الاقتصادية، والبيئية، مما جعل المدن الإسلامية نموذجًا متكاملاً يجسد القيم الإسلامية في الحياة اليومية.

١. الأسس الدينية والاجتماعية في التخطيط:

الفكر الإسلامي أسس مفهومًا فريدًا لتخطيط المدن يقوم على تحقيق العدالة، المساواة، والرفاهية الاجتماعية. ركز هذا الفكر على جعل المسجد مركز المدينة، حيث يمثل المسجد محور الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية. حول المسجد، تُقام الأسواق، الأحياء السكنية، والمرافق العامة، بما يعكس أهمية الدين في صياغة الحياة اليومية[>]

كما يظهر تأثير القيم الإسلامية في احترام الخصوصية من خلال تصميم الأحياء السكنية، حيث توزع المساكن بشكل يحافظ على خصوصية الأسر، مع تخصيص الشوارع والأزقة لفصل المناطق العامة عن المناطق الخاصة.

٢. العناصر التخطيطية في المدن الإسلامية

المساجد:

تعد المساجد الركيزة الأساسية في تخطيط المدن الإسلامية، فهي ليست فقط أماكن للعبادة، ولكنها مراكز للعلم والتواصل الاجتماعي. تصميم المدن يبدأ غالبًا من المسجد الجامع، حيث يُخطط حوله باقي المرافق.

الأسواق:

الأسواق في المدن الإسلامية تُبنى عادة قرب المساجد لتشجيع التجارة الأخلاقية. كما يتم تنظيمها بدقة لتخصيص أماكن محددة لكل نشاط تجاري، مثل سوق العطارين وسوق الصاغة، مما يسهم في تحقيق النظام الاقتصادي والعدالة الاجتماعية[١].

الشوارع والأزقة:

تتميز المدن الإسلامية بتخطيط شبكتها من الشوارع، حيث تكون الشوارع الرئيسية واسعة لسهولة الحركة والتجارة، بينما تكون الأزقة ضيقة لتوفير الظل والراحة الحرارية، مع مراعاة احترام الخصوصية في المنازل المطلة عليها.

الأحياء السكنية:

يُنظم السكان في أحياء وفق الروابط الاجتماعية والقبلية، مع مراعاة توفير المرافق العامة لكل حي، مثل الحمامات والأسواق الصغيرة.

٣. القيم البيئية والاستدامة

القيم الإسلامية تحث على الحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية. تجلى ذلك في تصميم المدن بحيث توفر المياه النظيفة من خلال القنوات والآبار، مع الحفاظ على المساحات الخضراء التي تُضفي

الجمال والراحة. كما تُبنى المدن وفق مبادئ التكيف مع الطبيعة، مثل استخدام المواد المحلية والبناء بشكل يحمي من الحرارة أو البرودة المفرطة .[٢]

عوامل انشاء المدينة

تأثرت عملية تخطيط القاهرة وبنائها على مر العصور بعدة عوامل طبيعية، تاريخية، اجتماعية، واقتصادية، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١. العوامل الطبيعية:

الموقع الجغرافي: تقع القاهرة في موقع استراتيجي على نهر النيل، ما جعلها مركزاً للتجارة والنقل بين شمال وجنوب مصر.

التضاريس: أثرت تضاريس المنطقة، مثل وجود الهضاب والوديان المحيطة، على توزيع الأحياء السكنية والبنية التحتية.

المناخ: تأثير المناخ الحار والجاف دفع إلى تصميم مبانٍ تتلاءم مع البيئة المحلية، مثل الشوارع الضيقة والمنازل ذات الأفنية الداخلية.

٢. العوامل التاريخية:

العصور الإسلامية: بدءاً من الفسطاط ثم العسكر والقطائع وصولاً إلى القاهرة الفاطمية، حيث كان لكل فترة تخطيط مميز يعكس السلطة الحاكمة وطبيعة المجتمع.

الاحتلالات والتغيرات السياسية: مثل الغزو العثماني والحملة الفرنسية والاحتلال البريطاني، التي تركت بصماتها على شكل المدينة من خلال تحديثات أو تغييرات في التخطيط[٣].

٣. العوامل الاجتماعية:

التوسع السكاني: أدى النمو السكاني إلى ظهور الحاجة لتوسعة المدينة وإنشاء أحياء جديدة.

الهجرة الداخلية: نزوح السكان من الريف إلى المدينة بحثاً عن العمل والخدمات أثر على توزيع السكان وتطوير العشوائيات.

٤. العوامل الاقتصادية:

الأنشطة التجارية: القاهرة كمركز اقتصادي رئيسي في مصر أدى إلى بناء الأسواق مثل خان الخليلي، وأسواق أخرى متخصصة.

السياسات الاقتصادية: تأثير الاستثمارات الأجنبية والمحلية في مشاريع البنية التحتية مثل الكباري والطرق والمباني الحديثة.

٥. العوامل الثقافية والدينية:

الموروث الثقافي: تأثرت المدينة بثقافتها الإسلامية والمسيحية، مما انعكس على العمارة والمساجد والكنائس.

الدور الديني: دورها كعاصمة إسلامية كبرى عزز وجود المساجد والمدارس الدينية في تصميم المدينة[٤].

٦. العوامل التكنولوجية:

مع التقدم التقني في فترات لاحقة، تطورت شبكات الطرق، السكك الحديدية، والمترو، مما أعاد تشكيل تخطيط المدينة.

كل هذه العوامل تفاعلت لتجعل القاهرة مدينة متعددة الطبقات تاريخياً وثقافياً ومعمارياً، وهو ما نراه اليوم من تنوع في طابع أحيائها بين القديم والحديث[٥].

اسباب بناء مدينة القاهرة :

تم بناء القاهرة نتيجة لمجموعة من الأسباب التي تتعلق بالتطور السياسي، والديني، والاقتصادي، والاجتماعي لمصر عبر العصور، ومن أبرز هذه الأسباب:

١. الأسباب السياسية:

تأسيس عاصمة جديدة: بعد دخول الفاطميين مصر عام ٩٦٩م بقيادة جوهر الصقلي، قرروا بناء مدينة القاهرة لتكون عاصمة جديدة تعكس قوتهم وسيطرتهم السياسية، ولتكون مقراً للحكم الفاطمي بدلاً من الفسطاط.

تعزيز السيطرة الفاطمية: أراد الفاطميون جعل القاهرة قاعدة استراتيجية لإدارة الدولة ونشر دعوتهم الإسماعيلية في العالم الإسلامي[٦].

٢. الأسباب الدينية:

نشر المذهب الإسماعيلي: كان الهدف الأساسي للفاطميين نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي، ولذلك بنوا جامع الأزهر كأحد المعالم الرئيسية لتعليم ونشر الفكر الفاطمي.

الهوية الإسلامية: شكل بناء القاهرة رمزاً للقوة الإسلامية ومركزاً دينياً هاماً في المنطقة.

٣. الأسباب الدفاعية:

تعزيز التحصين: تم تصميم المدينة بأسوار قوية وأبواب محصنة (مثل باب زويلة وباب النصر) لحمايتها من الهجمات الخارجية[٧].

اختيار موقع استراتيجي: اختير موقع القاهرة شمال الفسطاط في منطقة مرتفعة نسبياً لحمايتها من فيضانات النيل.

٤. الأسباب الاقتصادية:

إنشاء مركز تجاري: أراد الفاطميون جعل القاهرة مركزاً تجارياً وإدارياً يتوسط طرق التجارة بين آسيا وأفريقيا وأوروبا.

ازدهار الأسواق: مع بناء المدينة، ازدهرت الأنشطة التجارية والحرفية، وتم إنشاء أسواق كبيرة مثل خان الخليلي لاحقاً[٨].

٥. الأسباب الاجتماعية والثقافية:

توفير بنية حضرية جديدة: جاءت فكرة إنشاء مدينة جديدة تلبي الاحتياجات السكانية المتزايدة، وتوفر بنية حديثة تعكس الرؤية الفاطمية.

التأثير الثقافي: أراد الفاطميون أن تكون القاهرة مركزاً للإشعاع الثقافي والفكري.

٦. الأسباب الجغرافية:

الموقع المميز: اختيرت منطقة القاهرة بسبب قربها من نهر النيل وملاءمتها للتوسع العمراني، بالإضافة إلى سهولة ربطها بالمناطق المجاورة.

الحماية من الفيضانات: بُنيت القاهرة على أرض مرتفعة نسبياً مقارنة بالفسطاط، مما جعلها أقل عرضة لفيضانات النيل[٩].

بناء القاهرة جاء نتيجة رؤية متكاملة تجمع بين الأهداف السياسية والدينية والاقتصادية، مما جعلها عاصمة حضارية متألقة منذ نشأتها وحتى اليوم.

تسمية القاهرة:

لم تنشأ القاهرة أول الأمر لتكون عاصمة لمصر فالفسطاط كانت العاصمة، وحين اتفق أهلها على تسليم مصر للفاطميين الغازين اشترطوا على جوهر الصقلي ألا يدخل بجيشه الفسطاط عند عبور

الجسرين على جزيرة الروضة) فاتجه شمالاً إلى موضع القاهرة، حتى لا تتعرض الفسطاط للسلب والنهب، وباعتبار جيش الفاطميين جيشاً فاتحاً غازياً فمن الأجدى في بداية الفتح أن يتخذ له حصناً ومستقراً خاصاً بعيداً عن العاصمة حتى لا تتعرض مصر لما كانت تتعرض له في أواخر حكم الإخشيدين من هجمات القرامطة، ومن ثم كان هذا الحصن القاهرة المعزية) في الجهة الشمالية ليصد عن الفسطاط خطر القرامطة في الوقت الذي تحمي الفسطاط المقطم والرصد في الشرق ونهر النيل في الغرب(١٠) .

وكان من عادة الدول الحادثة أن تقيم لدولتها الجديدة عاصمة خاصة غير العاصمة القديمة وهذا أمر متكرر خصوصا أن نظام الدولة الفاطمية مغاير من حيث المذهب الديني لأهل مصر السنيين وهم أصحاب المذهب الشيعي .

ولم يقصد جوهر من إنشاء القاهرة المدينة المحصنة في بادئ الأمر أن تكون قاعدة أو دار خلافة أو منزل ملك، بل اختطها لتكون سكنا للخليفة وحرمه وجنده وخواصه، فنشأت القاهرة مدينة خاصة للدولة الفاطمية الناشئة، واستمرت حينا، بعد قيامها مدينة ملكية عسكرية تشتمل على قصور الخلفاء ومساكن الأمراء ودواوين الحكومة وخزائن المال والسلاح(١١).

وأما عن أسباب التسمية : فقد اختلفت الروايات التاريخية في أمر تسميتها؛ ففي أول الأمر سماها جوهر المنصورية تيمنا باسم مدينة المنصورية التي أنشأها خارج القيروان المنصور بالله والد المعز، واستمر هذا الاسم حتى قدوم المعز عام ٥٣٩٢ إلى مصر فأطلق عليها القاهرة، وقال ابن سعيد" أنها سميت القاهرة لأنها تقهر من شذ عنها ورام مخالفة أمرها، وقال ابن دقماق أنها سميت كذلك لأن أساسها شق على طلوع كوكب رصده أحد الحكماء السبعة الذين كانوا بديار مصر وهو كوكب يقال له القاهر "(١٢).

أن القائد جوهر لما أراد بناء القاهرة أحضر المنجمين وعرفهم أنه يريد عمارة بلد خارج مصر (الفسطاط) ليقيم فيها الجند وأمرهم لاختيار طالع سعيد لوضع الأساس، وطالع لحفر السور، وجعلوا

بدار السور قوائم خشب بين كل قائمتين جعل فيها أجراساً، وقالوا للعمال إذا تحركت الأجراس فارموا ما بأيديكم من الطين و الحجارة، فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح فاتفق أن غرابا وقع على حبل من الحبال التي فيها الأجراس فتحركت كلها فظن العمال أن المنجمين قد حركوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا فصاح المنجمون (القاهر) في الطالع، ويقال أن المريخ كان في الطالع عند ابتداء وضع الأساس والمقريزى وابن تغرى بردى اجتمعت أقوالهم في تسميتها فقالا أن القائد جوهر لما أراد بناء القاهرة أحضر المنجمين وعرفهم أنه يريد عمارة بلد خارج مصر الفسطاط) ليقيم فيها الجند وأمرهم لاختيار طالع سعيد لوضع الأساس، وطالع لحفر السور، وجعلوا بدار السور قوائم خشب بين كل قائمتين جعل فيها أجراساً، وقالوا للعمال إذا تحركت الأجراس فارموا ما بأيديكم من الطين والحجارة، فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح فاتفق أن غرابا وقع على حبل من الحبال التي فيها الأجراس فتحركت كلها فظن العمال أن المنجمين قد حركوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا فصاح المنجمون القاهر) في الطالع، ويقال أن المريخ كان في الطالع عند ابتداء وضع الأساس وهو قاهر الفلك فسموها القاهرة([١٣]) .

الملامح الرئيسية لتخطيط مدينة القاهرة

تخطيط مدينة القاهرة

كانت مدينة القاهرة عند نشأتها الأولى على شكل مربع تقريبا طول كل ضلع من أضلاعه ١٢٠٠ متر طولا و ١١٠٠ متر عرضاً، ومساحة الأراضي التي حددها هذا المربع ٣٤٠ فدانا"، وقد قسمت الى حارات وقصور ومساجد ومناظر وغيرها سنتعرض لها كما يلي :

الخطط أو الحارات (الأحياء السكنية):

عندما اختط جوهر القاهرة في يوم السبت لست بقين من جمادى الآخر سنة ٣٠٩هـ، واختطت كل قبيلة خطة عرفت بها، فزويلة بنت الحارة المعروفة بها، واختطت جماعة من أهل برقة الحارة البرقية، واختطت الروم حارتين، حارة الروم الآن، وحارة الروم الجوانية بقرب باب النصر.

حارة زويلة أو خطة زويلة: يقول عنها ابن دقماق زويلة طائفة من البربر قدموا مع المعز لدين الله فاختطوا داخل القاهرة بهذا المكان وهو : قبلى القصور إلى الغرب فعرفت هذه الخطة بهم – انظر الشكل ويضيف المقريزى نقلاً عن ابن عبد الظاهر فيقول لما نزل القائد جوهر بالقاهرة اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها ونقل لنا عن ياقوت قال حارة زويلة محلة كبيرة بالقاهرة بينها وبين باب زويلة عدة محال، سميت بذلك لأن جوهر غلام المعز لما اختط محله بالقاهرة أنزل أهل زويلة بهذا المكان فتسمى بهم.

حارة الباطلية خطة الباطنية ذكرها ابن عبد الظاهر، ويحدثنا عنها ابن دقماق نقلا عن ابن عبد الظاهر فيقول منسوبة إلى جماعة من الباطنية قدموا إلى الديار المصرية فنزلوا داخل القاهرة واختطوا في هذا المكان فعرف بهم وهو قبلى القصور، وقيل إن المعز لما قسم العطاء في الناس جاءت وطائفة فسألت عطاء فقيل لها فرغ ما كان حاضراً ولم يبق شي فقالوا الحق باطل قسموا الباطلية فعرفت الخطة بهم

حارة الروم: يقول عنها ابن دقماق خطة الروم هي خطتان منسوبتان إلى الروم الذين قدموا مع الإمام المعز لدين الله فاختطوا خطتين داخل القاهرة وخارجها، وقيل الخطتان داخل القاهرة أما المقريزي فيقول عنها نقلا عن ابن عبد الظاهر واختطت الروم حارتين حارة الروم الآن([١٤])

حارة البرقية خطة البرقية: يقول عنها ابن دقماق منسوبة إلى جماعة من أهل برقة قدموا مع المعز إلى مصر فاختطوا داخل القاهرة في شرق القصور ويقول عنها المقريزي نقلا عن المسيحي هذه الحارة عرفت بطائفة من طوائف العسكر في الدولة الفاطمية يقال لها الطائفة البرقية. حارة كتامة خطة كتامة : يقول عنها ابن دقماق هي قبيلة من قبائل البربر قدموا بصحبة المعز فاختطوا إلى جانب الباطلية من القرن فعرفت هذه الخطة بهم ويقول المقريزى هذه الحارة مجاورة لحارة الباطلية (١٥)

ابواب المدينة واسوارها:

يحدثنا المقريزي عن سور القاهرة عند نشأتها الأولى فيقول أعلم أن القاهرة منذ أسست عمل سورها ثلاث مرات، الأولى وضعه القائد جوهر على مناخه الذي نزل به هو وعساكره وكان من لبن الطوب النبي وأداره على القصر والجامع، فمنذ تخطيط القاهرة أيام المعز أحيطت بسور ثم حفر في شماله الخندق، وقد ارتبط هذا العمل بخطر القرامطة على مصر، فاقتضته ظروف الدولة الفاطمية الحديثة حين اختطت لنفسها مدينة جديدة في منطقة منبسطة ليست ذات حماية طبيعية بالاستناد إلى تلال المقطم. وعلى هذا كان السور ضرورة استراتيجية في البداية واستمرت الضرورة قائمة لدفع الخطر الخارجي الذي تكرر يمكن معرفة امتداد الأسوار التي بناها جوهر الصقلي عند النشأة الأولى المدينة القاهرة، وهذه الامتدادات هي:

الجهة الجنوبية ويبدأ من الشرق إلى الغرب بحيث لا يكون عموديا على الخليج أي يميل قليلا بحيث يكون محاذيا لسكة الشيخ فرج فإذا ما وصلنا إلى بداية درب سعادة حيث يبدأ الآن ميدان باب الخرق الكبير باب الخلق فإننا نكون قد وصلنا إلى نهاية السور في هذه الجهة الجنوبية " [١٦].

الجهة الغربية ونتتبع فيه درب سعادة إلى حي بين القصرين، فإذا وصلنا إلى هذا الجانب حيث توجد حارة زويلة فإنه يستمر في امتداده حتى القنطرة التي أقامها جوهر على الخليج التصل بين القاهرة وميناء المقس)، وتقع هذه القنطرة عند التقاء السور الشمالي بالسور الغربي.

الجهة الشمالية: ويمتد من باب القنطرة بامتداد عطفة الفراخة ودرب الفراخة إلى أن يتصل بباب الفتوح القديم الذي يقع بجوار مسجد الحاكم وباب النصر.

الجهة الشرقية ويمتد مع امتداد حارة البرقية من الجزء الشمالي الشرقي، وهذه الحارة كانت تشتمل على باب البرقية[١٧].

أقام جوهر الصقلي لمدينة القاهرة عند نشأتها الأولى أربعة أبواب في كل من سوريا الشمالي والجنوبي، وهما الاتجاهان الرئيسيان في حركة المرور القادم إليها أو الخارج منها وارتباطاً بحركة المرور في الوادي كله .

أن السور الشمالي يوجد به بأبان أحدهما باب النصر، يقول عنه ابن عبد الظاهر يخرج منه إلى الرحبة وهو عند خانقاة سعيد السعداء ودكاكين العطارين الآن عصر بن عبد الظاهرت

والباب الآخر باب الفتوح، وهذان اليابان يسلك منهما إلى عين شمس".

ب السور الجنوبي: يوجد به بابان متجاوران يقال لهما بابا زويلة يقضيان بالسالك منهما إلى مدينة مصر الفسطاط، وهما عبارة عن بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف بسام بن نوح، ويعرفان بباب القوس ذكرهما ابن عبد الظاهر ويضيف أن باب زويلة به عيب لكونه ليست له باشورة" (١٨).

قدامه ولا خلقه على عادة الأبواب " ويضيف ابن عبد الظاهر أن كل هذه الأبواب والسور كانت بالطوب اللبن – تاب

القصور:

وعن تركيب مدينة القاهرة عند نشأتها الأولى قصد جوهر القائد باختطاط القاهرة حيث هي اليوم فادار السور اللبن الطوب النبي) فيه بعساكره، وأنشا من داخل السور جامعة وقصراً، فكانت القاهرة في أيام جوهر صغيرة ليس بها سوى قصر الخليفة والجامع الأزهر وثكنات الجنود ودور المغاربة ورجال الحاشية وحرس الخليفة .

أـ القصر الكبير الشرقي: ولما بني القائد جوهر القصر وحفر أساسه أول ليلة نزوله القاهرة أدخل فيه دير العظام وهو المكان المعروف بالركن المخلق قبالة حوض الجامع الأقمر قريب بئر العظام .. ويصفه لنا المقريزى" فيقول وهو منزل سكني الخليفة ومحل حرمه وموضع جلوسه لدخول العساكر وأهل الدولة، وفيه الدواوين وبيت المال وخزائن السلاح، وهو الذي أسسه القائد جوهر وزاد فيه المعز"، والقصر الكبير الشرقي بناه جوهر القائد عام ٥٣٠٠٨ في القضاء الفسيح بداخل السور

سور القاهرة على مساحة. فدان من جملة مساحة القاهرة (٣٤٠ فدانا) ويقع في الجهة الشرقية من المدينة[١٩].

وللقصر الكبير الشرقي تسعة أبواب ثلاثة في الجهة الغربية هي باب الزهومة وباب الذهب و باب البحر، وفي الجهة الشمالية باب واحد هو باب الريح، وفي الجهة الشرقية ثلاثة أبواب هي باب الزمرد وباب قصر الشوك وباب العيد، وفي الجهة الجنوبية باب الديلم وباب تربة الزعفران. ويضيف ابن عبد الظاهر عن القصر الكبير فيقول " وأدخل قصر الشوك في القصر، وكان منزلا يعرف ببني عذرة، وجعل له أبوابا أحدها باب العيد وإليه تنسب رجبة باب العيد، وإلى جانبه باب يعرف بباب الزمرد وباب قبالة دار الحديث يعرف باب البحر، وباب آخر قبالة الدار القطبية وهي المارستان الآن يعرف بباب الذهب، وباب الزهومة، وباب من ناحية قصر الشوك، وباب من عند مشهد الحسين يعرف بباب التربة(تربة الزعفران)، وباب سماه باب الديلم وهو باب مشهد الحسين الآن عصر بن عبد الظاهرات [٢٠]

القصر الصغير الغربي: أنشأه العزيز بالله عام ٤٥٠هـ، ويقع تجاه القصر الكبير من جهته الغربية ويطل من شرقيه على البستان الكافورى، ويتحول إليه الخليفة في أيام النيل للنزهة على الخليج، ويتصل القصر الصغير الغربي بالقصر الكبير الشرقي بواسطة سراديب تحت الأرض وكان هذا الممر الأرضي أيضا يصل بين القصر الشرقي الكبير ومنظرة اللؤلؤة على الخليج، ويقع بين القصر الكبير الغربي والقصر الكبير الشرقي فضاء متسع يقف فيه عشرة آلاف من العساكر ما بين فارس وراجل، ويقال له بين القصرين.

المناظر:

منظرة اللؤلؤة: وتقع بالقرب من قنطرة باب القنطرة وهي أشهر مناظر الفاطميين، وكانت قصراً من أحسن القصور وأجملها زخرفة تشرف من شرقيها على البستان الكافورى، وتطل من غربيها على الخليج ولم يكن غربي الخليج غير البساتين ومنها بستان المقس وبستان الدكة وبركة بطن البقرة

ومنظرة اللؤلؤة بناها العزيز بالله ت عام ٥٣٨٦)، ثم سكنها برجوان عندما تولى الوزارة أيام الحاكم بأمر الله (ت) عام (١٣٩٠)، وكانت معدة لنزهة الخلفاء وكان يتوصل إليها من القصر الصغير الشرقي بالسراديب تحت الأرض".

منظرة الجامع الأزهر: بناها العزيز بالله ت عام (٣٨٩) وكان يجلس فيها ليالي الوقود

مناظر الزاهرة والفاخرة والناضرة: واستجد المأمون بالقصر على باب الذهب وعلى باب البحر منظرتين وسماهما الزاهرة والفاخرة ومنظرة ثالثة تسمى الناضرة وكان الخليفة يجلس فيها لعرض العساكر .. وهي ثلاث مناظر بناها المأمون البطايحي فالزاهرة كانت فوق باب الذهب أحد أبواب القصر الشرقي الكبير والفاخرة والناضرة كانتا داخل القصر وكان يجلس الخليفة لعرض الجيوش[٢١].

الدور الكبيرة (الأدر):

دار الحكمة أو دار العلم يقول عنها ابن عبد الظاهر " " تقع بجوار باب التبانين (أحد أبواب القصر الغربي وأصبح مكانه باب الخرنشف، وكانت في موضعه دار العلم التي بناها الحاكم بأمر الله وهي متصلة بالقصر الصغير الغربي، وقد بناها الخلفاء الفاطميون لأنهم لم يكونوا يعرفون المدارس، وكان بها جماعة يقرأون العلم والطب وغير ذلك "، وقد أنشئت بالقاهرة عام ٣٩٥هـ، وكانت تقع تجاه الجامع الأقمر جددها الحاكم بأمر الله (ت) عام (٥٥٢٤)، ونقل إليها الكتب وأباح للناس الدخول فيها المطالعة والنقل منها، وأعد لهم الورق والمداد والأقلام.

دار المظفر: معروفة بالمظفر ولد أمير الجيوش أخي الأفضل " بنيت في وزارة أمير الجيوش بدر الجمالي (عام ٥٤٨٠)، وصارت دار وزارة سكنها أمير الجيوش ومن بعده صارت إلى برجوان .

دار ملوخيا بناها ملوخيا غلام الحاكم بأمر الله ومحلها الآن درب ملوخيا

الدار الأفضلية بناها الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي، ثم سكنها أرباب السيوف وأمراء الجيوش المصرية.

دار الذهب بناها الأمر بأحكام الله بخط بين السورين وكانت مطلة على الخليج، وبني أيضا داراً أخرى تجاه خزانة الدرق (جعلها صلاح الدين مدرسةعرفت بالمدرسة السيوفية.

المساجد :

جامع الحاكم " بناه الحاكم بأمر الله وتم بناؤه عام ٣٩٣هـ، وكان خارج القاهرة لأن باب القاهرة كان عند خانقاة سعيد السعداء ، فقد كان يقع خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة فلما وسع بدر الجمالي أمير الجيوش القاهرة صار داخلها، قد أسسه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله عام ٥٣٨٠ وكان يعرف أولا بجامع الخطبة، ثم أصبح يعرف بجامع الحاكم ويقال له الجامع الأنور، وقد أكمله الحاكم بأمر الله في عام ٥٤٠١ .

جامع الأقمر : بناه الأمر بأحكام الله علم ٥١٩ وتوجد به حلقة تدريس يدرس بها"[٢٢].

جامع الظافر" (الأفخر): " هو جامع الفكهانيين بناه الظافر وكان قبل ذلك زريبة تعرف بدار الكباش، بناه عام ٥٥٤٣ ويسمى الجامع الأفخر .. ويقول عنه المقرى زى هذا الجامع بالقاهرة في وسط السوق الذي كان يعرف قديما بسوق السراجين ويعرف اليوم بسوق الشرايين عمره الخليفة الظافر بأمر الله إسماعيل ت عام ٥٥٤٩، وبه حلقة تدريس وفقهاء ومتصدرون القرآن [٢٣]

مسجد باب الخوخة يقع هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبي غالب

مسجد الكافورى: يقع في البستان الكافورى بناه الوزير المامون البطايحي

مسجد الفجل : هذا المسجد بخط بين القصرين تجاه بيت البيسرى، أصله من مساجد الخلفاء الفاطميين"[٢٤]

المسجد الحسيني: أفرد له حجرة من القصر (الكبير) وبناها هذا المشهد الآن ودفنها رأس الحسين) وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع بن رزيك عام ٥٤٩هـ.

خاتمة:

من خلال دراسة تخطيط مدينة القاهرة ودور جوهر الصقلي في تأسيسها، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج التي تبرز أهمية التخطيط العمراني في الحضارة الإسلامية ودوره في تحقيق التكامل بين الجوانب الروحية والاجتماعية والاقتصادية. ويمكن تلخيص أبرز النتائج المتوصل إليها فيما يلي:

١. الرؤية التخطيطية لجوهر الصقلي: أظهرت الدراسة كيف أن تأسيس القاهرة جاء استجابة لرؤية استراتيجية تجمع بين الأهداف السياسية والدينية، مما جعلها عاصمة جديدة قادرة على تمثيل القوة الفاطمية.

٢. الطابع الإسلامي في التصميم: كان تخطيط القاهرة انعكاسًا واضحًا للقيم الإسلامية، حيث تمركز المسجد كعنصر محوري في المدينة، إلى جانب الأسواق والأحياء السكنية التي صممت لتحقيق الخصوصية والتناغم الاجتماعي

٣. الدور الدفاعي للمدينة: أظهر البحث أهمية الأسوار والأبواب التي بناها جوهر الصقلي لحماية القاهرة من الهجمات الخارجية، مما يعكس البعد الاستراتيجي في تخطيط المدينة.

٤. التوازن بين الوظائف الحضارية: نجح تخطيط القاهرة في خلق مدينة متعددة الوظائف تجمع بين النشاط الديني، السياسي، التجاري، والاجتماعي، وهو ما جعلها نموذجًا يحتذى به في تخطيط المدن الإسلامية.

٥. التأثير البيئي: أظهرت الدراسة كيف راعى تخطيط القاهرة عوامل البيئة المحلية، مثل استخدام مواد البناء المناسبة وتنظيم الشوارع لتوفير الظل والتهوية.

تثبت هذه النتائج أن تخطيط القاهرة يمثل نموذجًا متقدمًا في التاريخ الإسلامي لتصميم المدن التي تعكس القيم والمبادئ الإسلامية. وبهذا، تقدم هذه الدراسة رؤية شاملة للتخطيط العمراني الفاطمي، والذي يمكن أن يكون مصدر إلهام للتخطيط الحضري الحديث.

الهوامش والمصادر:

(١)ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، أجزاء، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٩-١٩٧٢، ج١ ، ص٨٩ .

(٢) ابن عبد الظاهر الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزبة القاهرة، حققه وقدم له وعلق عليه أيمن فؤاد سيد، بيروت ١٩٩٩م ، ج١ ، ص٢٢٠ .

(٣)ستانلي لين بول: سيرة القاهرة، ترجمة، د. حسن إبراهيم حسن، د. على إبراهيم –حسن، إدوارد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م ، ج١ ، ص٤٥ .

(٤) بن سعيد ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة – القاهرة، تحقيق د. حسين نصار، مطبعة دارالكتب، القاهرة، ١٩٧٠م ، ج٢ ، ص٢٢

(٥) ستانلي بول ، سيرة القاهرة ، ج١ ، ص٣٩ .

(٦)أحمد على إسماعيل، العالم الإسلامي دراسات جغرافية في الجوانب الحضارية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م ، ص١٢٣ .

(٧)بن عبد الظاهر (محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن – عبد الظاهر ت ٦٩٢هـ): الروضة البهية في خطط القاهرة المعزية، تحقيق د. أيمن فؤاد سيد، الدار العربية للكتب، القاهرة، ١٩٩٦م ، ج١ ،ص٣٢ .

(٨)المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، ت ٨٤٥هـ)المواعظ –والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أربعة أجزاء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،١٩٩٨م ، ج٢ ، ص٦٧ .

(٩)المسيحي، أخبار مصر سنتى ٤١٤٠ – ٤١٥هـ ، تحقيق وليم ج مى لورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م ، ص١٨٩ .

(١٠)ناصر خسرو، ت ٤٥٣هـ: سفر نامة، ترجمة د. يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة – للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م ، ج١ ، ص١٧٨ .

(١١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا، ج ،١ تحقيق د. جمال الدين الشيال، الهيئة – المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ج١ ، ص١٦٨ .

(١٢)عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم، مكتبة الأنجلو المصرية، -١٩٧٥م ، ج١ ، ص٩٠ .

(١٣) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، -القاهرة، ١٩٩٥م ، ص١١٨ .

(١٤) ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.ج١ ، ص٢٠٠ .

(١٥) ابن دقماق ، الانتصار ، ج١ ، ص١٤٣ .

(١٦)الخطط ، ج١ ، ص٥٦ .

(١٧)ابن سعيد المغربي النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠ م ، ج٢ ، ص٤٢ .

(١٨)الظاهري زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بول راويس المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤ م ، ص٨٩

(١٩) أمينة الشوربجي ، رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية – لمصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م ، ص١٠٧ .

(٢٠)على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر ، ج ١، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٨٠م ، ص١٧٩

(٢١)أحمد رمضان أحمد ، الرحلة والرحالة المسلمون، د.ن ، جدة، د. ت ، ص١٦٣ .

(٢٢) عبد الله محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية، دار الثقافة، القاهرة، -١٩٩١ م ، ص٢١٣ .

(٢٣)ستانلي لين بول: سيرة القاهرة،ج١ ، ص٤٩ .

(٢٤)حسن عبد الوهاب: تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها، دار النشر للجامعات – المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م ، ص٣٧ .